مكونات الوجود في ديوان غربة العائدين من المجاز للشاعر الجزائري أحمد بوفحته – مقاربة موضوعاتية.

The Components of Existence in the Poetry Collection of Algerian poet Ahmed Bouftha Ghorbat Alaeyidin Men Almadjaz - A Thematic Approach

طالب الدكتوراه: بوزيدي رضا
الأستاذ الدكتور: يوسف بديدة

قسم اللغة والأدب العربي–جامعة الوادي(الجزائر)
مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الوادي.
bouzidi-ridha@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2022/04/25 تاريخ القبول: 2022/06/21 تاريخ النشر: 2022/09/15

ملخص:
حاول الشاعر المعاصر تقويض الوجود وإعادة بنائه وفق الرؤيا الشعرية الذاتية المستمدة من فلسفات ومرجعيات متعددة، لذا تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم مقاربة موضوعاتية في ديوان غربة العائدين من المجاز للشاعر الجزائري أحمد بوفحته" نحاول من خلالها رصد تيمات الوجود الكبرى التي ترتكز عليها الرؤيا الشعرية للشاعر، وأبرز المرجعيات الفلسفية التي تسهم في تشكيل رؤيا الوجود عنده.
الكلمات المفتاحية: وجود؛ رؤيا؛ تيمات؛ موضوعاتية؛ غربة.

Abstract:
The contemporary poet had tried to undermine the existence and rebuild it according to the subjective poetic vision derived from multiple philosophies and references. Consequently, this research paper aims to present a thematic approach in the poetry collectionof the Algerian poet Ahmed Bouftha named "*GhorbatAlaeyidin Men Almadjaz*"(The Estrangement of the Returnees fromthe Trope).We try to monitor the major themes of existence on which hebasedhispoetic vision and the most prominent philosophical references that contribute to the formation of his vision of existence.
Keywords: Existence; vision; themes; thematic; estrangement.

مقدمة :

وجود الإنسان المعاصر نفسه -في بدايات الألفية الجديدة- أمام تطورات كبرى للعالم وتحولات ذهنية ونفسية وثقافية واجتماعية عميقة، كرستها سرعة التطور التكنولوجي الهائل وظهور عوالم افتراضية متعددة، فأصبح العالم يتميز بالتعقيد، ليجد الإنسان نفسه مهددا في وجوده وجوهره العميق، ولأن الشاعر يستشعر ويتنبأ بالخطر المحدق بالإنسان وجد نفسه يواجه هذا التعقيد والتحولات الجديدة التي تهدد وجوده وتعمق مأساته، فحاول الشاعر –من خلال إبداعه- تقويض الوجود وإعادة تشكيله وفق الرؤيا الشعرية التي يستمدها من مرجعياته المتعددة.

ولم يكن الشاعر الجزائري بمعزل عن هذه التحولات وما نجم عنها من تعقيدات، خاصة مع وجود عدة حواجز اجتماعية وثقافية وسياسية تقف حائلا أمام الشعر لفرض منطقه الإنساني والجمالي وتكريس رؤيا الشعراء للعالم والوجود، لذا حاول الشعراء في قصائدهم البحث عن جوهر الإنسان وقيمه الجمالية، ومواجهة الواقع المادي والتصادم مع قيمه السلبية، ليحاولوا تشكيل وجود ذاتي يعبر عن رؤيا الشاعر للعالم والوجود.

ونحاول في هذا الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ما هي مكونات الوجود عند الشاعر أحمد بوفحته في ديوانه غربة العائدين من المجاز؟ وكيف شكّل وجوده؟ وما هي المرجعيات التي استلهمها في تشكيل هذا الوجود؟

وقد وجدنا المنهج الموضوعاتي مناسبا للإجابة عن هذه التساؤلات، باعتباره منهجا يحاول رصد التيمات المهيمنة في الديوان، والتي تشكل في بنياتها العميقة مكونات الوجود عند الشاعر، ومن خلالها تحديد الرؤيا الكلية عنده، وعليه، فإن هذه الورقة البحثية تهدف إلى:

رصد التيمات المهيمنة في ديوان "غربة العائدين من المجاز" للشاعر أحمد بوفحته.

- تحديد مكونات الوجود عند الشاعر وربطها بالمواضيع الرئيسية والفرعية.

- استنباط المرجعيات الفلسفية والثقافية والدينية التي ساهمت في تشكيل هذه الرؤيا.

1- الشعر من وجود الذات إلى تشكيل العالم:

يرى الفيلسوف الألماني مارتن هيدغير Martin Heidegger"أن الوجود في جوهره هو وجودي أنا، أنا الذات المفردة، ولهذا يجب أن يبدأ البحث منها"[1] فالإنسان بصفة عامة يجب أن يبحث في وجوده الذاتي لينطلق منه في تشكيل العالم وفقرؤيا ذاته وهذا ما جاءت به الفلسفة الوجودية التي ترى بمركزية الإنسان في الكون،كما يؤكد هيدغيرHeidegger أن " القلق كصفة متجذرة في الذات الإنسانية يمثل شفرة عميقة لفهم حقيقة الوجود في العالم"[2] وباعتبار الشعر بحثا في الذات وإبرازا لها ناتجا عن قلق وجودي " فقد ظلت القصيدة اللاعب

الحقيقي الذي يقف في مواجهة لاعب آخر هو العالم"،[3] فالشاعر يحاول من خلال إبداعه كشف خبايا العالم وأسراره، كما تحاول القصيدة "البحث في أشكال لانتظام الكون"،[4] فمهمة الشاعر المعاصر لا تقتصر على تكديس الصور والرموز والأخيلة وشحنها بالأساطير والتناصات فحسب، بل يحاول المبدع من خلال رؤيته الإبداعية تشكيل الوجود وفق ما تراه ذاته "فالإبداع الشعري يمثل إبداعا للوجود"[5] وهذا ما يراه أدونيس حينما يعرّف "القصيدة المعاصرة بالرؤيا"[6] كما يرى "أن الرؤيا إبداع، والمبدع من يبدع صورة خيالية أو مثالا يبرزه إلى الوجود الخارجي"[7] فأدونيس ينتقل بنا من البحث في وجود الذات إلى إبرازها في الوجود الخارجي بواسطة الشعر "ولا يمكن للشاعر –حسب أدونيس- أن يكون عظيما إلا إذا لمحنا وراءه رؤيا للعالم"[8]، فالشعر العظيم إذن، هو الذي يستطيع صاحبه أن يشكل وجوده الداخلي/ الخارجي بواسطة إبداعه ورؤيته الشعرية، وتتشكل رؤيا الشاعر من خلال إبداعه في مساءلة مكونات الوجود الكبرى ومحاولة الإجابة على "أسئلة الحقيقة، الموت، الحياة، الحرية، المنفى، الاغتراب، المركز والهامش.. "[9]، فكل هذه المكونات الوجودية تبرز رؤيا الشاعر للعالم وكيفية تشكيله لوجوده وإبداعه له من خلال تجربته الشعرية، "فالفن عموما، والأدب بوجه خاص رفض للعالم القائم وتعبير عن النقصان وعن قلق الوجود، فالذين يشعرون بالراحة لا يحتاجون أبدا لاختراع عالم موازٍ عن طريق الكلمات"[10] فالإبداع الشعري إذن هو تشكيل لعوالم موازية للعالم المادي نستخلصها من تجارب شعرية لها رؤيا خاصة للعالم وللوجود وهذا ما سنحاول البحث فيه من خلال تجربة الشاعر الجزائري أحمد بوفحته في ديوانه "غربة العائدين من المجاز" وذلك من خلال رصد أبرز التيمات المهيمنة ومحاولة تشكيل رؤيا الوجود عنده من خلال هذه التيمات.

2- تيمة الحب: من عالم الوجدان إلى رؤيا العالم:

تمثل تيمة الحب " أو عالم الوجدان بصفة عامة الموضوع المهيمن في ديوان "غربة العائدين من المجاز" للشاعر الجزائري أحمد بوفحته* " أي الموضوع الذي تتردد مفردات عائلته اللغوية بشكل يفوق مفردات العائلات اللغوية الأخرى"[11] فقد تكررت كلمة حب والكلمات المشتقة منها حبيب، حبيبة، أحب...(خمسا وخمسين مرة) فيما تكررت كلمة عشق/ عاشق (ستا وثلاثين مرة) أما كلمة قلب فقد كانت نسبة تكرارها الأعلى على الإطلاق في الديوان حيث تكررت (أربعا وستين مرة) فيما تكررت كلمة شوق/ حنين (خمسا وثلاثين مرة) وبإلحاق كلمات تنتمي إلى عائلة "حب" على غرار حزن (أربع وعشرون مرة) وأسى (ثماني عشرة مرة)فإن العدد الإجمالي للكمات التي تنتمي إلى العائلة اللغوية "حب" " بحكم الاشتقاق والترادف والقرابة

الدلالية"[12] يصل إلى (مئتين واثنين وثلاثين مرة)وهي نسبة تواتر عالية جعلت من العائلة اللغوية لكلمة "حب" موضوعا مهيمنا على الديوان، لتتفرع عليه تيمات متعددة منبثقة عليه، "أي ما تسمى بالموضوعات الفرعية التي تنبثق عن الموضوع الرئيس"[13] قياسا وتواتر الكلمات التي تنتمي إلى الحقول المعجمية للموضوعات الفرعية، أي أن الشاعر ينطلق من وجدانه في تشكيل العالم وفق رؤيته الشعرية، ونحاول رصد التيمات المتفرعة على الموضوع المهيمن في الشجرة الموضوعاتية الآتية:

الحب								
الحب/ الوطن			الحب/الأنثى				الحب/ الشعر	
الغربة	الحرب	المنفى	الذكرى	المناجاة	الوحدة	الحزن	جوهر الشعر	مطاردة المعنى	الاستحضار والتماهي
العاشق الذي في الكهف – وطن لا يعشق	العربي ما قبل الأخير - شهيد مطرز بالحنين - وطن اليتامى	الطاهير مدينة من الحنين - الحصار	أنثى من الضوء - غربة العائدين من المجاز - ما لم يقل تولستوي - أحلى مستبد - عناق - عرش للقصيدة	جسدان وليل - ظمأ الشفاه - أنثى من جنون - مآذن الحب - قلب وطن - هيام	لاجئان ولا وطن - بقيت وحدي - دمع سراب	آية القلب - خمار لقلب عار - حين ما نزعت أمي جبةالحلاج -الغربة الأولى - مقام لجرح أنيق - رغبة	الشاعر نبي السلام - أسئلة الليلة الأخيرة - مجد القصيدة - إيغال	رعشة المجاز - نبوءة شعر - رعشة الشعر	موعد سماوي - الدهشة الكبرى

وتمثل هذه الشجرة التفرعات الموضوعاتية المنبثقة على الموضوع المهيمن، فالشاعر سينطلق في تشكيل وجوده الذاتي والمتمثل في عالم الوجدان والذي تجسده تيمة الحب، إلى تشكيل العالم ومكوناته الوجودية والمتمثلة في التيمات الفرعية وتفرعاتها المتشعبة، ويجدر بنا الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي كون القصيدة المعاصرة تجنح دوما في تشكيلها الفني إلى الغموض والرمزية وتوظيف الأساطير.، كما تبتعد عن تقديم المضامين والأفكار بشكل مباشر، كما كان عليه الحال في الشعر القديم،" فالقصيدة المعاصرة نوع من المعرفة التي لها قوانينها الخاصة في معزل عن قوانين العلم، إنها إحساس شامل بحضورنا، ودعوة لوضع معنى الظواهر من جديد موضع البحث والتساؤل"[14]، فهي رؤيا وجودية تجسد تجربة فلسفية أداتها اللغة، تحمل في طياتها مضامين وجودية قد تتقاطع فيما بينها في نص واحد، ولكننا سنقف عند الموضوع المهيمن فيها، ونحاول الوقوف عند أبرزها في ديوان الديوان انطلاقا من حضور القرائن الموضوعاتية الدالة، وكيف ساهت هذه المكونات الوجودية في تشكيل كينونة الشاعر ورؤيته الوجودية.

1-2 تيمة الأنثى وجدلية الحضور والغياب:

حظي موضوع الأنثى/ الحبيبة اهتماما موضوعاتيا واسعا في الديوان، فقد مثلت المرأة الوقود الشعري للشاعر بحضورها الوجداني وغيابها الواقعي، وبالعودة إلى مفهوم العائلة اللغوية فإن كلمة أنثى لم تتكرر كثيرا في الديوان فقد جاءت في "ثلاث عشرة مرة" وهو عدد قليل مقارنه بحضورها الدائم على مستوى البنيتين الأفقية (على مستوى الديوان) والعمودية (على مستوى كل قصيدة على حدة)، ولكن إذا أحصينا الضمير العائد عليها فإننا سنجد العدد أكبر بكثير، فمثلا بلغ عدد الضمائر العائدة على الأنثى في قصيدة " أنثى من الضوء" وحدها (واحدا وعشرين إحالة)وهو عدد كبير، فيما تكررت حبيبة (مرة واحدة) حبيبتي (مرة واحدة) عاشقة/عاشقات(خمس مرات) وباحتساب الكلمات التي ساهمت الأنثى في ظهورها نحصل على الإحصائيات الآتية: شوق/ حنين (خمس وثلاثون مرة) حزن (أربع وعشرون مرة) أسى (تسع عشرة مرة) وحدة (عشرون مرة)، فراق(عشر مرات)، وكل هذه الإحصائيات تشير إلى نزعة الحزن والألم العالية التي أدت إليها وحدة الشاعر الوجدانية، وعليه، فإن تيمة الأنثىتتفرع في الديوان على النحو الآتي:

1-1-2 ذكرى الحبيبة:

تشغل الأنثى حيزا كبيرا من اهتمام الشاعر، لذلك نجد لها حضورا عميقا في عوالمه الوجدانية والشعرية، كما أن أشكال هذا الوجود متعددة انطلاقا من حضورها الموضوعاتي في قصائد الديوان، ورأينا أن هذا الحضور يترواح بين ثنائية الوجود والعدم، الوجود يتمثل في وجود الأنثى وجودا دائما في خيال الشاعر ووجدانه، والعدم في غيابها عن واقعه، مع الإشارة إلى أن العلاقة بين ثنائية الوجود/ العدم علاقة جدلية تتبادل الأدوار بين ثنائية الحضور/ الغياب ولعل طغيان نزعتي الحزن والحنين كانتا دليلا على أن حضور الأنثى كحبيبة في الديوان ما هو إلا ذكرى يحاول الشاعر

من خلالها استحضار مكون جمالي يمثل قيمة وجدانية عليا في وجوده كما أن الإحالة لها بالضمير تعمق هذه الدلالة، ونجد ذكرى الحبيبة كموضوع رئيسي في ست قصائد هن: أنثى من الضوء، غربة العائدين من المجاز، ما لم يقل تولستوي، أحلى مستبد، عناق، عرش للقصيدة، والحقيقة أن هناك رابطاً موضوعاتياً دقيقاً يربط بين هذه النصوص الخمسة هو الحب العفيف الذي يستمد مبادئه من المشاعر الإنسانية الفاضلة التي تشكل مبدأ وجوديا للشاعر حيث يقول:

كَمْ بَعْثَرَتْ أَقْمَارَهَا بِسَمَائِي
لمَّا أَتَتْ تَمْشِي عَلَى اِسْتِحْيَاءِ
فَأَضَاءِتْ الدُّنْيَا... كَأَنَّ عُيُونَهَا الـ
خَجْلَى بِهَذَا اللَّيْلِ سِرُّ بَقَائِي
فِيهَا تَجَلَّى القَلْبُ أَتْقَى عَابِدٍ
صَلَّى صَلَاةَ الحُبِ فِي أَحْشَائِي
أُنْثَى كَأَنَّ الله سَخَّرَ صَمْتَهَا
وَحْيَاً إِلَيَّ وَخَطْوهَا إِسْرَائِي[15]

ومن الملاحظ أن الشاعر قد شحن هذا المقطع – ومنه النص- بكلمات ذات دلالات مقدسة (استحياء، ضياء، الخجلى، القلب أتقى عابد، صلّى صلاة الحب، الله، وحي، إسراء...) ليعبر عن قدسية الحب لديه ومكانة الأنثى المرموقة في وجوده الوجداني/ الإنساني والشعري، فصورة المحب الذي يحاول الشاعر ترسيخها في وجوده هو " كائن نبيل سامٍ يتطلع في جميع حركاته وسكناته صوب الأعلى، نحو عالم النقاء والطهارة وهاهنا يكمن سر اغتراب المحب"[16]وهذا ما نجده أيضا في قصيدة "عرش للقصيدة" حين يقول:

إِنِّي نَوَيْتُ الحجَ نَحْوَكِ كَعْبَةً
ولِكُلِّ قَلْبٍ في المَحَبَّةِ ما نَوَى
الحُبُّ يَعْلَمُ والقَصِيدَةُ أَنَّنِي مَلِكٌ
عَلى عَرْشِ الغَرَامِ قَدْ اسْتَوَى [17]

كما نجد أيضا في قصيدتي" أحلى مستبد، غربة العائدين" اعتراف الشاعر بوفائه لحبيبته وشوقه الكبير لها رغم الفراق الذي حال بينهما، فيما يستحضر في قصيدة "ما لم يقل تولستوي" شخصية الكاتب الروسي ليو تولستوي، ويحاول التعبير على لسانه عن خيبته في الحب، وكأن الشاعر يريد أن يسقط واقعه الاجتماعي المادي الذي لا يؤمن بالوجدانيات والقيم المثلى على واقع المجتمع الروسي إبان الغزو الفرنسي في مطلع القرن التاسع عشر، والذي سيطرت عليه طبقة النبلاء التي أفسدت القيم الوجدانية المقدسة، وهذا ما تحدث عنه تولستوي في رواية الحرب

والسلام، إذ تمثل هذه المبادئ الإنسانية الوجدانية رؤيا الشاعر للحب، الذي يخوض معركة الوجود، في ظل سيطرة النزعة المادية على واقعه الاجتماعي، حيث يقول الشاعر:

مِنْ أَلْفِ أُمْنِيَةٍ والقَلْبُ يَخْذُلُنَا
كَأَنَّنَا لَعْنَةٌ والذَنْبُ مَا عَلِمَا
يا عَاشِقَا قُلْ لِتولُسْتُويَ مَعْذِرَةً
فَالحُبُّ فِي زَمَنِ الغُفْرَانِ مَا ابْتَسَمَا [18]

فالشاعر إذن يعيش الحب كذكرى في خياله وقيمة إنسانية في وجدانه، لأنه يرى فيه قدسية وقيمة وجدانية إنسانية فاضلة لا يمكن لها أن ترى النور في هذا الواقع الإنساني المادي المشوه بالقيم السلبية، ولكنها تشغل حيزا بارزا في وجود الشاعر، وتشكل مكونا وجوديا مهما في تشكيل العالم، فلا يمكن أن نتخيل عالم الشاعر من دون الحب.

2-1-2 مناجاة الحبيبة

يحاول الشاعر في قصائد: جسدان وليل، ظمأ الشفاه، أنثى من جنون، مآذن الحب، قلب وطن، هيام، يحاول مناداةَ الحبيبة ومناجاتها للحضور ومشاركته آلامه وأوجاعه وأماله في تحقيق واقع أفضل، ففي قصيدة جسدان وليل تكرر فعل الأمر "تعالي" إحدى عشرة مرة، فيما تكرر فعل الأمر "كوني" في قصيدة ظمأ الشفاه أربع مرات، كما تكرر الفعل "أحتاج" في قصيدة "أنثى من جنون"ثماني مرات" موزعا تركيبيا على النحو الآتي: أحتاج أنثى (ثلاث مرات)، أحتاجها سرا (مرة واحدة)، أحتاجها (مرتين)، أحتاج غفرانا (مرة واحدة)، وجاءت هذه الإحصائيات لتؤكد لنا حاجة الشاعر للأنثى في حياته، كي تمنحه التوازن الوجداني الذي يجعله قادرا على مواجه واقعه المادي، وتشكيل عالمه الوجداني الإنساني،فالأنثى مكون وجودي بارز في عالمه حيث يقول:

أحتاج أنثى من جنون
تَحْتَوِينِي كُلَّمَا
وَجْهُ الذُنُوبِ تَجَلَّى
أّحْتَاجُ أُنْثَى مِنْ نَبِيذٍ
أَشْتَهِيهَا كُلَّمَا عِنَبُ الغَرَامِ تَدَلَّى
أّحْتَاجُ أُنْثَى أَسْتَظِلُ بِشَعْرِهَا يَوْمَ الحَنِينِ
ونَارُهَا لا أَصْلَى [19]

ويقول أيضا:

تَعَالِي إِنَّنِي ضَيَّعْتُ ذَاتِي
وبَوْصَلَتِي تَرَى فِي الغَرْبِ شَرْقَا

تَرَى كُلَّ المَفَاتِنَ لي بِلاداً
وقَلْبِي لا يَرَى إلاكِ خَفَقَا [20]

ومن خلال النموذجين، نجد أن مناجاة الشاعر لحبيبته كانت بارزة، وحاجته إليها في وجوده كبيرة، لأن الأنثى/ الحبيبة هي التي ستعيد له توازنه المختل جراء تصادمه مع الواقع، كما أن الأنثى لها دور كبير في تشكيل كينونة الشاعر ووجوده الإنساني والجمالي.

2-1-3 الوحدة:

شكلت تيمة الوحدة في الديوان أبرز المواضيع الوجدانية المرتبطة بالأنثى أهمية وحضورا، وقد حضرت على مستويات متفاوتة في عدد من القصائد، ولكنها كانت –موضوعاتيا- مهيمنة على ثلاث قصائد هن: لاجئان ولا وطن، وبقيت وحدي، دمع سراب، حيث عبر فيهن الشاعر على وحدته وما خلفته من أحزان وأشواق، حيث يقول:

وبَقَيْتُ وَحْدِي
لِلْحَنِينِ وَفِيًّا
حتَّى بَلَغْتُ مِنَ الجِرَاحِ عِتِيًّا
وَحْدِي وَوَجْهُكِ لا يَزَالُ مُقَدَّساً
وَأَنَا أُحَاوِلُ أَنْ أَظَلَّ تَقِيًّا [21]

والشاعر – رغم وحدته- يبقى وفيالحبه، لأنه يرى فيه حبا مقدسا مبينا على قيم إنسانية فاضلة، كما يحاول تفسير هذه الوحدة حيث يقول:

سَيَهْجُرُكَ الأَحْبَابُ كُلٌّ وَعُذْرُهُ
وتَبْقَى وَحِيداً لَاْ حَبِيبَ لِتَعْذُرَهْ
سَتَحْيِي عُيُونُ القَلْبِ
دَهْشَةَ دَمْعِهَا
لتُشْعِلَ أَرْوَاحَ السُّجُونِ المُحَرَّرَهْ[22]

ويرى الشاعر أن هذه الوحدة قدر محتوم، وهي سنة وجودية فرضها قانون الحياة على الناس، وعليه أن يذوق حزنها وألمها، وأن يتعايش مع غيابها الواقع، وأن يعيش حضورها الوجداني بأشكاله المتعددة.

2-1-4 الحزن:

يتحول الحزن في ديوان "غربة العائدين من المجاز" من شعور إنساني بالألم إلى موضوع شعري مكتمل الأركان، يحاول فيه الشاعر رصد لحظاته الأليمة وتصويرها تصويرا شعريا يتكئ على شعرية الألم، وعائلة كلمة "حزن " لها حضور قوي في الديوان فعلاوة على كلمتي حزن(أربع وعشرون مرة) وأسى (تسعة عشر مرة) نجد أيضا كلمات: دمع (ثمانٍ وعشرون مرة) جرح (اثنان

وعشرون مرة) ليل/ظلام (خمس وثلاثون مرة) – باعتبار الظلام والليل دالين على الحزن والألم- وهي نسبة تواتر عالية جعلت من موضوع الحزن حاضرا بقوة في الديوان، لذلك كان موضوعا رئيسيا لست قصائد هن: - آية القلب، خمار لقلب عار،حينما نزعت أمي جبة الحلاج، الغربة الأولى، مقام لجرح أنيق، رغبة، كما أن مصادر حزن الشاعر كانت متعددة فمنها ما مصدره حزن على الوطن، ومنها ما هو حزن على فقدان حبيبته، ومنها ما يسببه القلق الوجودي الذي يأتي من مطاردة المعنى والكتابة الشعرية، وإن كان الحزن المترتب عن جدلية حضور وغياب الأنثى هو الأبرز إذ يقول:

إنِّي دُمُوعُ الغَيْمِ كُونِي الأَنْهُرَا
أَّحْتَاجُ بَعْضَ الذِكْرَيَاتِ لِأُمْطِرَا
لِي أُمْنِيَاتُ العَاشِقِينَ وَحُزْنَهُمْ
وَعِنَادُ طِفْلٍ أَبَى أَنْ يَكْبُرَا
أَنْفَقْتُ كُلَ سَنَابِلي وَبَرَاءَتِي
لَكِنَّ حَقْلَ أَحِبَّتِي لَنْ يُثْمِرَا
وَأَنَا وَأَنْتِ مُتَيَّمٌ وَيَتِيمَةً
مُتَشَابِهَانِ وَحُزْنُنَا قَدْ قُدِّرَا[23]

فالحزن قدر محتوم على الشاعر وحبيبته، لأن التقاءهما واقعا أضحى مستحيلا،فما يفصل بينهما أكبر من أن يتم تقويضه بالحب فقط، ويحاول الشاعر تأصيل شعور الحزن فيه حين يقول:

أنَا آثِمٌ فِي الحُبّ حَدَّ بَرَاءَتِي
والظَّنُ أَنَّ إِلَهَهُ لَنْ يَغْفِرَا
وأَنَا اِبْنُ أُمٍ وَرَثَتْنِي حُزْنَهَا
مُنْذُ الرَضَاعِةِ دَمْعُهَا لي أسْكَرَا[24]

وترتفع نزعة الألم إلى نسبة قصوى في قصيدة الغربة الأولى، يشير فيها الشاعر إشارة صريحة إلى مصدر الحزن الدائم عنده، كما يحاول وصفه وصفا دقيقا حين يقول:

مَا زِلْتُ أَمْسَحُ دَمْعَتِي بِخِمَارِهَا
مُذْ صِرْتُ طِفْلاً فِي الأَسَى أَوْابَا
مُذْ غُرْبَتِي الأُولَى
أُقَبِّلُ رَمْلَهَا وَكَأَيِّ طِفْلٍ أَجْهَلُ الأَسْبَابَا
أَحْبَبْتُهَا حَدَّ التَوَحُّشِ فِي الهَوَى
أَحْبَبْتُهَا حَدَّ اليَقِينِ عَذَابَا
لَكِنَّهَا مُنْذُ اِفْتَرَقْنَا صُدْفَةً

أَهْدَتْ حَنِينِيَ دَمْعَةً وَغِيَابَا
مَا زِلْتُ مُحْتَفِظاً بِآخِرِ دَمْعَةً
فَوْقَ الوِسَادَةِ مُذْ فُؤَادَيَ ذَابَا[25]

ومن خلال النماذج السابقة نجد أن غياب الحبيبة عن واقع الشاعر وتصادم الشاعر مع واقعهما المصدران الأولان لحزن الشاعر، ولكون الحبيبة تشغل حيزا كبيرا من حياته صار الحزن طاغيا على وجود الشاعر، وأصبح مكونا أساسيا لكينونته الوجدانية والشعرية، فرؤيا الشاعر ترى أن الحزن مكون أساسي في تشكيل وجوده الأليم، ومن ثم تشكيل العالم.

فالأنثى إذن تشغل حيزا كبيرا من وجود الشاعر واهتماماته الشعرية – ومنه الوجودية- باعتبار الشعر أداة تعبيرية جمالية تعبر عن عوالم الشاعر النفسية والروحية، وجسد الديوان رؤية الشاعر للأنثى/ الحبيبة وقداسة مشاعره تجاهها، كما حاول الشاعر استدعاءها ومناجاتها لأن حضورها في حياته يمثل قوة وجدانية يواجه بها واقعه الاجتماعي المادي المشوه، ولكن غيابها يشعره بالوحدة ثم الألم والحزن،وقد شكلت تيمة الأنثى نسبة موضوعاتية كبيرة في الديوان حيث بلغت 55.26% (واحد وعشرون قصيدة من ثماني وثلاثون قصيدة) أي ما يفوق نصف قصائد الديوان بقصيدتين، وهو رقم كبير يجسد المكانة الكبرى للأنثى في وجود الشاعر، وإن كانت أغلب القصائد التي تحدثت عن الأنثى تناولتها من زاوية الغياب لا الحضور، ولكن هذا الغياب هو الحضور في الآن نفسه، كما تبرز هذه النسبة حاجة الشاعر الكبيرة للأنثى في وجوده الإنساني الذي يسعى لتشكيله انطلاقا من رؤيته الشعرية ومن رؤيا العالم عنده.

2-2 تيمة الوطن غربة الروح أم غربة الجسد:

شكلت تيمة الوطن " بؤرة موضوعاتية" في ديوان غربة العائدين من المجاز على مستوى البنيتين العمودية والأفقية للمدونة الشعرية، فأفقيا أي على مستوى الديوان كان حضور الوطن قويا في البناء الموضوعاتي، بل إن الشاعر جعل من تيمة الوطن مفتوحة على دلالات متعددة على غرار دلالات: المنفى، الغربة، الأنثى.. مساهمة في بناء جماليات القصائد من حيث بناء الصورة وانفتاح الدلالة، أما عموديا أي على مستوى القصائد، فكان الوطن موضوعا بارزا لعدة قصائد في الديوان، وبالعودة إلى مفهوم العائلة اللغوية نجد كلمة "وطن" قد تكررت (عشرين مرة)، فيما تكررت الكلمات التي تنتمي إلى عائلتها ولها قرابة دلالية معها على النحو الآتي: أرض (عشر مرات)، دنيا (ثماني مرات)، منفى (عشر مرات)، غربة (اثنتا عشرة مرة)، هجرة (ست مرات)، تراب (أربع مرات)، لا مكان (مرة واحدة) لاجئ (مرة واحدة) الطاهير (مرة واحدة)، كما اخترقت كلمة وطن وعائلتها العنوان الرئيس من خلال كلمة " غربة" والعناوين الفرعية لست قصائد هي: الطاهير، مدينة من حنين، لاجئان ولا وطن، الوطن الذي لا يعشق، الغربة الأولى، قلب وطن، وطن اليتامى،

وتشير كل هذه الإحصائيات إلى الحضور البارز لتيمة الوطن في الديوان، ويمكن رصد تفرعات هذه التيمة على النحو الآتي:

2-2-1 الغربة:

يعيش الشاعر في قصائده شعورا عميقا بالغربة، ويبدأ هذا الشعور من العنوان الرئيس مرورا بالعناوين الفرعية " الغربة الأولى – العاشق الذي في الكهف.." ثم قصائد الديوان التي تكررت فيها كلمة غربة/ اغتراب (اثنتا عشرة مرة)، لكن هذا الشعور يرتفع في قصيدة " العاشق الذي في الكهف" لتكون الغربة موضوعها الرئيس، ويوحي العنوان بالسجن/ الوطن الذي يعيش فيه الشاعر، إذ يمثل الكهف فضاء مغلقا يجد الشاعر نفسه مسجونا داخل أفكاره المادية التي لا تؤمن بالحب، الحرية...، ولا تتوفر فيها القيم التي يبحث عنها، مما يجعله يتخذ عالم الوجدان ملجأ له يحميه من شعور الاغتراب داخل وطنه، إذ يقول:

وَحْدِي...
وَصَوْمَعَةِ البِدَايةِ تَشْتَهِينِي
هَلْ تُغَطِي السِرَّ كَيْ لَاْ أَفْضَحَهْ؟
آمَنْتُ بِالضَوْءِ الذِي فِي دَاخِلِي
وَخَرَجْتُ مِنْ كَهْفِ الظُنُونِ لأَشْرَحَهْ
كالعَاشِقِ المَنْفِي صَوْبَ يَقِينِ مَوْقِدِهِ
الذي اِمْتَدَ الرَمَادُ لِيَمْسَحَهْ
لكنه منح القصيدة جمرة أخرى سيشعلها الأسى لتوضحهْ
الشِّعْرُ: مُعْتَقَدٌ سَيَبْقَى دَاخِلِي
سِراً لِيَمْنَحَنِي الحَيَاةَ وَأَمْنَحَهْ[26]

فالشاعر يؤكد على إيمانه العميق بالقيم الوجدانية التي تشكل وجوده الذاتي، وهذا الإيمان يعمق شعور الغربة لدى الشاعر، لأن الوجود الداخلي للشاعر "عالم الوجدان" يتعارض مع الوجود الخارجي -الواقع الاجتماعي- "فالشروط الموضوعية للوجود الإنسي يجعل الوعي في حالة تردد مستمر بين حالتي الحضور والغياب ويجعل الذهول المتمثل بانكفائه المتكرر إلى دائرة اللاوعي ضرورة وجودية" [27]، يحاول الشاعر من خلالها هذه الحالة إدراك وجوده الإنساني المطلق، انطلاقا من واقعه المادي، كما يتضح شعور الغربة جليا في قصيدة "وطن لا يعشق" حيث يقول الشاعر:

وَطَنِي لِمَاذَا كُلَمَا حَاصَرْتَنَا
نَنْمُو وُرُوداً فِي الحِصَارِ وَنَعْبَقُ
وَطَنِي ماذَا كُلَمَا أَحْرَقْتَنَا
تَأْتِي عَلَيْنَا الأُمْنِيَاتُ فَنُورِقُ

وَطَنِيمَاذَا نَرْتَدِي خَيْبَاتِنَا/
المَنْفَى لماذَا نَرْتَدِيكَ وَنُحْرَقُ[28]

فالشاعر إذن يعيش غربة روحية، استدعتها غياب القيم الإنسانية التي يؤمن بها ويبحث عنها في واقعه المادي المشوه بالقيم السلبية، غربة فرضتها كينونة الشاعر ووجوده الشعري الإنساني النبيل الذي يبحث عن إثبات ذاته في مجتمع مادي لا يؤمن به كمكون جمالي ينظر للوجود نظرة وجدانية.

2-2-2المنفى:

حضر المنفى في ديوان غربة العائدين من المجاز موازيا للوطن وبشكل أدق موازيا للواقع الاجتماعي الذي يعيشه الشاعر، ومع أن كلمة منفى وعائلتها اللغوية وردت في الديوان بشكل قليل نسبيا (منفى: عشر مرات، لاجئ: مرة واحدة)، كما أن المنفى لم يكن موضوعا رئيسيا إلا في نصين هما: الحصار – الطاهير مدينة من حنين، إلا أن المنفى بدلالته المتعددة الغربة، الوحدة، الحزن، الشوق.. كان حاضرا بقوة في نفسية الشاعر، فهو لا يعيش المنفى بمفهومه المعتاد البسيط "إبعاد شخص عن موطنه بواسطة قوة ما"، إنما المنفى الذي تفرضه الكتابة، فكلما كانت تجربة الكتابة أعمق كلما أحست الذات الكاتبة بالمنفى والاغتراب أكثر فأكثر، فالمنفى الذي يعيشه الشاعر منفى مبادئ وقيم رسختها الذات الكاتبة في نفسية الشاعر، تلك الذات الباحثة عن تشكيل الوجود وفق رؤيتها الوجدانية، مما جعل نظرته للقيم التي يفرزها واقعه الاجتماعي نظرة سلبية بعيدة كل البعد عن مبادئه وقيمه الفاضلة التي تشكل وجوده كإنسان، والتي يبحث عنها في عوالمه الروحية والنفسية، من خلال التماهي مع شخصيات تحمل تلك القيم سنفصل فيها لاحقا، وتمثل الطاهير في قصيدة الطاهير مدينة من حنين معادلا موضوعيا للشاعر، فهو يحاول إلباس مدينته لباس المنفى لتعيش معه الوحدة والغربة والألم، إذ يقول:

كَمْ نُشْبِهُ المَنْفَى
يُحَاذِرُهُ المَسَاءُ تَوَجُّساً من لَيْلِهَا
أنَا طِفْلُهَا
قَبْلَ الرَّحِيلِ وَبَعْدَهَا
مُذْ صِرْتُ شَيْخاً مِنْ حَنَانٍ
تَحْتَمِي شُرُفَاتُها تَحْتَ اِحْتِرَاقِي
رُبَّمَا
مَطَرُ الفُرَاقِ يَصُبُ فَوقَ الذِكْرَيَاتِ

لِغَسْلِهَا
أنَا طِفْلُهَا الشَيخُ المُسَافِرُ في أَزِقَّةِ حزْنِهَا
كَمْ لَيْلَةً قَدَّتْ فُؤَادِي
غَلَّقَتْ أَبْوَابَهَا
فَارْتَدَّ قَلبي شَاهِداً مِنْ أَهْلِهَا [29]

ويصور الشاعر في هذا المشهد الشعري السينمائي مدينته الطاهير وكأنها تعيش التشرد والمنفى، يصور حزنها من وحدتها وشوقها لأهلها وحركيتها، وكما أشرنا آنفا فالطاهير ماهي إلا معادل موضوعي للشاعر الذي يريد من مدينته أن تشاركه آلامه وأماله الإنسانية من أجل تشكيل وجوده الإنساني النبيل.

3-2-2 الحرب:

يحاول الشاعر الخروج من فضائه الجغرافي الضيق إلى فضاء أوسع وأرحب يمثل بعدا1 قوميا للشاعر ألا وهو الوطن العربي، فالشاعر ينتمي وجدانيا وتاريخيا واجتماعيا إلى هذه الأمة التي أكلتها الحروب، وبالعودة إلى العائلة اللغوية لكلمة حرب، نجد الإحصائيات الآتية: موت (خمس عشرة مرة)، دم (أربع عشرة مرة) جرح (اثنان وثلاثون مرة) نار (ست مرات) يشعل (ثماني مرات)، كما نجدها مهيمنة موضوعتيا على ثلاث قصائد هن: العربي ما قبل الأخير، شهيد مطرز بالشوق، وطن اليتامى، يحاول فيهن الشاعر وصف آلة الحرب والدمار التي شهدها العالم العربي إذ يقول في قصيدة العربي ما قبل الأخير:

مُذْ دَمْعَتَيْنِ مِنَ الأَسَى أَخْفَاهُمَا
بَيْنَ الجُفُونِ وبيْنَ شِدَّةِ صَبْرِهِ
مِا زَارَهُ إِلَّا دُخَانُ قَنَابِل
وَأَنِينُ طِفْلٍ يَسْتَرِيحُ بِحِجْرِهِ
وَرِدَاءُ أَرْمَلَةٍ يُشَابِهُ رَايَةً
قَدْ عَلَّقَتْهُ أَمَامَ رَعْشَةِ زَهْرِهِ
هُوَ هَكَذَا رَجُلٌ يُغَازِلُ وَرْدَةً
بيْنَ الحُطَامِ كَمَنْ يَهِيمُ بِسَمرِهِ
هَوَ لمْ يُفَارِقْ عِطْرِهَا حَتّى التُقَى
بِقَذِيفَتَينِ وَطَلْقَةٍ في ظَهْرِهِ [30]

ويحاول الشاعر في هذا المشهد السينمائي وصف آلة الحرب المدمرة التي تأكل كل شيء جميل، وعبر عن بشاعة واقع الأمة العربية باستخدام ثنائية الجمال/ الدمار، الجمال الذي

تمثله (طفل، زهره، يغازل، وردة، عطر) والدمار الذي تجسده (دخان قنابل، الحطام قذيفتين، طلقة في ظهره)، إذ استطاع الشاعر بدقة أن يصور فظاعة الحرب والدمار الذي تخلفه، وهذا ما نجده أيضا في قصيدة "وطن اليتامى"، كما يحاول الشاعر في قصيدة "شهيد مطرز بالشوق" التغني ببطولات الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل نيل الحرية إذ يقول:

لِي بَسْمَةً فِي مَوْطِنِي وَالخُلْدُ لَهُ
قَلَبِي تَقَدَّسَ بِالشَهِيدِ فَبَجَّلَهْ
مَعْنَايَ نَخْلٌ قَدْ تَزَيَّنَ سَعْفُهُ
يَمْتَدُ آخِرُهُ لِيُدْرِكَ أَوَّلَهْ[31]

فالشهيد خالد في ذاكرة الأمة ببطولته وقداسة نضاله، وما التغني بالشهداء إلا تعبير عن انتماء الشاعر الحقيقي لكل ما هو جميل وإنساني، فالشهيد هو وردة الحرية التي تذبل لتهدي عطرها الفواح لأمة كاملة، ولا يمكن للشاعر إلا أن يقدس كلما ما هو جميل في وجوده الشعري الإنساني النبيل.

إذن فالوطن كتيمة موضوعاتية مهيمنة جاء في سبع قصائد أي بنسبة 18.42%، وهي نسبة متوسطة باعتبار اهتمام الشاعر الكبير بوطنه في الديوان، إلا أن تداخل دلالاته مع دلالات الأنثى جعل الكفة موضوعاتيا تميل لصالح تيمة الأنثى باعتبارها وطنا يلجأ الشاعر إليه أيضا، وقد تبين أن الشاعر يعيش غربة روحية في وطنه، سببها إيمان الشاعر العميق بعالم الوجدان وتعارض قيمه الوجدانية مع الواقع الاجتماعي.

2-3 تيمة الشعر:

شكلت تيمة الشعر في الديوان من المجاز هاجسا موضوعاتيا، وبالعودة إلى مفهوم العائلة اللغوية نجد أن كلمة شعر قد تكررت (إحدى وثلاثين مرة) كما تكررت الكلمات التي تنتمي إلى عائلتها على النحو الآتي: قصيدة(خمس عشرة مرة)، مجاز (أربع مرات)، بيان (مرة واحدة)، كتابة (مرتين)، نص(مرة واحدة)، رؤى (أربع مرات)، إلهام (مرة واحدة)، نبوءة (ثلاث مرات)، رعشة (أربع عشرة مرة)، دهشة (عشر مرات)، كما نجد علاوة على العنوان الرئيس " غربة العائدين من المجاز" عدة عناوين فرعية قد تكونت من أحد أفراد العائلة اللغوية لكلمة "شعر": الشاعر نبي السلام، رعشة المجاز، الدهشة الكبرى، نبوءة شعر، رعشة الشعر، مجد القصيدة، عرش للقصيدة...، وتشير كل هذه الإحصائيات إلى اهتمام الشاعر الكبير بالشعر كمكون وجودي له دور هام في تشكيل كينونته الوجودية وصياغة مواضيعه الشعرية وتشكيل رؤيا العالم، ومن التفرعات المنبثقة عن تيمة الشعر:

2-3-1جوهر الشعر وحقيقته:

أضحى الشاعر المعاصر مفتونا في مواضيعه الشعرية بفلسفة الشعر ومحاولة فك أسراره وسبر أغواره، واكتشاف عوالمه، ومعرفة مصدره وجوهره الوجودي "فقد ظهرت القدرة على التنظير الشعري النوعي من قبل الشعراء أنفسهم مع ظهور الشعر الحديث في الغرب منتصف القرن التاسع عشر خاصة مع الشاعرين شارل بولدلير Charles Baudelaire وتوماس إليوت Thomas Eliot"[32]، ويحاول الشاعر في قصائده: الشاعر نبي السلام، أسئلة الليلة الأخيرة مجد القصيدة، إيغال، تفسير الظاهرة الشعرية بطرح عدة تساؤلات فلسفية تبحث في جوهر الشعر ومصدره وكنهه الوجودي إذ يقول:

مَا الشِّعْرُ..مَا الحُبُّ..
مَا الإِنْسَانِ..مَا اللُّغَةُ..
مَا نَبْضُ قَلْبٍ إِذْ تَغْتَالُهُ اِمْرَأَةٌ

فسؤال: "ما الشعر؟" سؤال فلسفي يبحث في ماهية الشعر وجوهره الوجودي،" إنه السؤال الإشكالي الذين ينفتح على التسآل، ويهدف إلى المعرفة بمنهج عقلي تأملي، ويعبر عن حيرة الإنسان تجاه الوجود ومصيره"[33] ويحاول الشاعر الجزائري أحمد بوفحته الإجابة على سؤال الشعر في عدة مواضع نرصدها في الجدول الآتي:

الموضع	عنوان القصيدة	جوهر الشعر ومصدره
الشعر آيات الذين تغربوا*** فإذا قرأنا فاتبع قرآنه	الشاعر نبي السلام	الغربة والاغتراب: إذ يفر الشاعر من واقعه المادي إلى عالم الشعر باعتباره مكونا وجدانيا للذات الشاعرة، متخذا إياه ملجأً وجوديا له
الشعر معتقد سيبقى داخلي *** سرا ليمنحني الحياة وأمنحه	العاشق الذي في الكهف	الغموض: يمثل الشعر سرا يمنح الشاعر الحياة، فهو أساس رؤيا الشاعر ومعتقد وجودي ومكون وجداني لا يستطيع الشاعر العيش دونه
في الغار وحدي ووحي الشعر أحرقني كأنما حرفه الصوفي من لهب	نبوءة شعر	الوحي والإلهام: يمثل الشعر وحيا وإلهاما ونبوءة ونبوغا للشاعر، فهو يبحث في وجوده الإنساني النبيل بواسطة الشعر ويشكل العالم وفق رؤيته الشعرية
ما زلت أبصر ما لم يبصر الشعرا لأن قلبي كما الأوزان قد كسرا	رعشة الشعر	الألم: يعتبر الشاعر الألم مصدرا لكتابة الشعر فهو باعث من البواعث الوجودية للكتابة وتشكيل رؤيا العالم

المجد للشعراء أبناء الأسى من غسلوا المنفى بدمع الأمنيات	مجد القصيدة	الأسى: يعتبر الشاعر أن الشعراء هم أبناء الحزن والأسى، لكثرة حضورهما في وجود الشاعر

ويتضح من خلال هذا الجدول أن الشاعر يرى في الشعر ملجأ وجوديا له، باعتبار الشعر رؤيا تجسد وجدانه وكينونته وتشكل عالمه، وهذا ما يجعل من الغربة شعورا ملازما للمبدع، كما يربط بين الإلهام والنبوءة، ويرى أن الشاعر نبي سلام، ينشر رسالة الحب بين الناس، كما يربط الشاعر بين الإبداع والألم، فالشعر غالبا ما يكون حاملا لقضايا المقهورين في العالم، فالشعراء حسبه هم أبناء الأسى، لأنهم يحملون هموم الوطن، ويدافعون عن القيم الإنسانية ويحاربون القيم المادية، ينشرون السلام ويطالبون بالحرية، فجوهر الشعر عند الشاعر الجزائري أحمد بوفحته أن يعبر الشعر عن وجدان الشاعر ويشكل وجوده الإنساني النبيل وهو مكون وجودي أساسي يجسد رؤيا العالم عنده، "فالشعراء النادرون هم الذين يعتكفون على جوهر الشعر في داخلهم، فهم يرون أن جوهر الوجود هو الشعر، وأن هذا الوجود يحمل في داخله شحنة سيبقى الشاعر إلى الأبد منشغلا بالتقاطها"[34] فشاعرنا حاول من خلال تيمة الشعر إدراك وجوده وترسيخ قيمه الوجدانية والإنسانية في هذا الوجود، والتي يمثل الشعر أبرز مكوناتها.

2-3-2 اللحظة الشعرية ومطاردة المعنى:

يخوض الشاعر صراعا نفسيا عميقا في مطاردة المعنى والقبض على اللحظة الشعرية مارا بلحظات وجودية متعددة كالقلق والاضطراب، والشعور بالحزن والاغتراب.. فيحاول الشاعر وصفها في قصائده، وهذا ما نجده في قصائد رعشة المجاز، نبوءة شعر، رعشة الشعر، حيث يحاول الشاعر رصد لحظته الشعرية وانتشائه بها إذ يقول:

لَمْ نَقْبَضِ المَعْنَى
قَبَضْنَا الرَّعْشَةَ الأُولَى
إذَا اشْتَعَلَ المَجَازُ
تَدَفَّقَ الرِيقُ النَدِي على شِفَاهِي
لَحْظَةً صُوفِيَةً القَطَرَاتِ [35]

ويقول أيضا:

في الغَارِ وَحْدِي وَوَحْيُ الشِّعْرِ أَحْرَقَنِي
كَأَنَّمَا حَرْفُهُ الصُوفِيُ مِنْ لَهَبِ
خَرَجْتُ لِلْنَاسِ لَمْ يُؤْمِنْ بِنَا أَحَدٌ

والشِّعْرُ مِنْ قَبْلِ مِيلادِي تَنَبْأَ بِي [36]

ومن خلال النموذجين نرى أن الشاعر يشبه اللحظة الشعرية بنزول الوحي على الأنبياء، وهذا ما يقدس رسالة الشعر عنده، وكما يمر النبي عند الوحي بحالات نفسية متعددة، كذلك يعيش الشاعر لحظات القلق والاحتراق قبل القبض على المعنى الشعري، وهذا ما يؤكد على الإيمان العميق بوجوده الوجداني وما يؤمن به من قيم ومبادئ إنسانية يسعى الشاعر من خلالها إلى تشكيل العالم وفق هذه الرؤيا الشعرية.

فالشاعر إذن حاول في ديوانه البحث في جوهر الشعر وحقيقته ومصدره من خلال الغوص في عوالمه الوجودية المتشعبة، والبحث في دلالته الروحية والنفسية المتعددة، كما حاول الشاعر أن يرصد لحظة الكتابة، وكيف يمر بحالات نفسية متعددة قبل كتابة القصيدة، وقد شكلت تيمة الشعر نسبة موضوعاتية تقدر بـ21.05% (ثماني قصائد من أصل ثمان وثلاثين قصيدة) وهي نسبة تبين مدى اهتمام الشاعر بعوالم القصيدة في نصوصه الشعرية.، كما يؤكد على أهمية مكون الشعر الذي يمثل الجمال، الفن، الرؤيا، البحث عن الحقيقة، الحرية...في تشكيل وجود الشاعر الوجداني ومنه رؤيا العالم.

3- الاستحضار والتماهي:

استحضر الشاعر في عديد من نصوصه شخصيات دينية وصوفية وأدبية محاولا التماهي معها والاقتداء بها، إذ تمثل هذه الشخصيات القيم الوجودية الفاضلة التي يؤمن بها الشاعر ويشكل وجوده منها ويحاول من خلالها تشكيل العالم وفق رؤيته الشعرية، نحاول أن نرصدها في الآتي:

3-1 : الشخصيات الدينية :

3-1-1- الرسول "صلى الله عليه وسلم":

كان لشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم حضور قوي في الديوان، من خلال قصيدتين كاملتين في مدحه هما: موعد سماوي، الدهشة الكبرى، كما كان له حضور في قصيدة " العربي ما قبل الأخير" التي استدعى فيها الشاعر عدة أنبياء، ويشير حضور شخصية النبي القوي موضوعاتيا على تماهي الشاعر مع سيرته الفاضلة المليئة بالقيم النبيلة التي يؤمن بها الشاعر في وجوده، كما يشير إلى أن هذه القيم الفاضلة استطاعت أن تهزم قيم الجهل والضلال التي واجهت النبي في بعثته، وهو ما يحتاجه الشاعر لمواجهة الواقع المادي ونشر رسالته الإنسانية، حيث يقول:

أَرَقَى إِلَيْهِ
إلى المَجَازِ

وَكُلَّمَا أَدْنُو إلى..
يُعْلِي المَجَازُ سَمَاءَهْ
أَرَقَى إلى بَدْرٍ إلى أُحُدٍ...
إلى المِعْرَاجِ غَسَّلَ حُزْنَهُ وَعَنَاءَهْ
وَإلى قُلُوبِ الحَالِمِينَ
لأَنَّهُ أَهْدَى إلى الحَاءِ اليَتِيمَةِ بَاءَهْ[37]

ويشير هذا المقطع إلى اقتداء الشاعر بالنبي، صلى الله عليه وسلم واعتباره، مثالا أعلى للقلوب فهو الذي زرع الحب والرحمة في قلوب أمة كاملة، وكما أشرنا سابقا فالشاعر يحمل رسالة حب للإنسانية جمعاء يشكل بها وجوده الإنسانيوتجسد رؤيا العالم عنده.

3-1-2 يوسف الصديق:

استحضر الشاعر شخصية نبي الله يوسف في ديوانه خمس مرات بشكل صريح، كما أشار إلى قصته في موضوعين آخرين دون ذكر اسمه، يحاول الشاعر من خلال هذا الحضور القوي لشخصية سيدنا يوسف التماهي مع قصته وتمثلها في شعره واعتبارها مكونا أساسيا في تشكيل وجوده، وبمقارنه بسيطة نجد أن هناك خيوط عديدة تربط هذه بتلك، فسيدنا يوسف عانى من حسد أخوته فذاق مرارة المنفى، والشاعر يعيش خيبة الوطن ومنفاه، وسيدنا يوسف عاش الغربة وكذل كالشاعر –وإن كانت غربة سيدنا يوسف جسدية وغربة الشاعر روحية-،وسيدنا يوسف دخل السجن وهو فضاء مغلق في ظاهره مفتوح وشاسع في باطنه لأن سيدنا يوسف عاش فيه الحرية الدينية والفكرية والأخلاقية...، ويعيش الشاعر وجوده وجدانيا، وهذا ما يقابل سجن سيدنا يوسف، ولكن السجن يعتبر البداية الحقيقية لسيدنا يوسف في بناء مجتمع فاضل، وكذلك الشاعر الذي ينطلق من وجدانه في تشكيل العالم وفق القيم الإنسانية الفاضلة.

3-1-3– السيدة مريم:

توحي السيدة مريم العذراء بدلالة العفة والطهارة في العرف الديني الإنساني عامة، لذلك فحضورها في الديوان في ثلاث مرات، يوحي بنظرة الشاعر للأنثى في جوهرها الإنساني العميق، والتي تمثلها السيدة مريم بعفتها وطهارته، فالأنثى التي تشكل وجود الشاعر أنثى تستمد مرجعيتها الدينية والأخلاقية والإنسانية من السيدة مريم وكل من يشبهها في الطهارة والعفة

3-2 الشخصيات الأدبية والفكرية:

استحضر الشاعر في ديوانه عدة شخصيات أدبية وفكرية، يتقاطع معها في رؤيته الوجودية، على غرار غاليلو غاليلي Galileo Galilei الذي يمثل دلالة التضحية من أجل إثبات

الحقيقة، و ليو تولستوي Leo Tolstoy الذي ناضل بكتاباته في سبيل الإنسانية، وشخصية الصوفي الحسين بن منصور المعروف بالحلاج والذي أعدم بسبب فلسفته ورؤيته الدينية الصوفية المختلفة، كما نجد حضور شخصية الشاعر الأغريقي الشهير هوميروسHomeros، والذي يدل على النضال بالشعر وتأريخ بطولات شعبه وأمته، وكل هذه الشخصيات تمثل قيما بارزة في وجود الشاعر تتخطى مرجعياته الوطنية والقومية إلى المرجعيات الإنسانية، فهي تمثل مرجعية وجدانية/ إنسانية في فلسفته الوجودية، وفي تشكيله للعالم وفق القيم الإنسانية الفاضلة.

ومن الملاحظ أن أغلب التناصات توزعت على مجموعة من القصائد ولم تكن مهيمنة موضوعاتيا على نصوص محددة، ماعدا التماهي مع شخصية النبي، صلى الله عليه وسلم، والتي خصها الشاعر بقصيدتين، أي بنسبة موضوعاتية بلغت 05.26%، ويوحي ذلك بأن الشاعر يحاول ربط دلالات تلك الاستحضارات مع التيمات الوجودية التي يعالجها في تلك النصوص، كما يؤكد على قيمة النبي، صلى الله عليه وسلم، كمثل أعلى لكل إنسان يدافع عن قيم المحبة والتعاون والعدل.. وهذا ما يراه الشاعر نموذجا أمثل لتشكيل العالم

وتتوزع التيمات الوجودية في الديوان كما يلي:

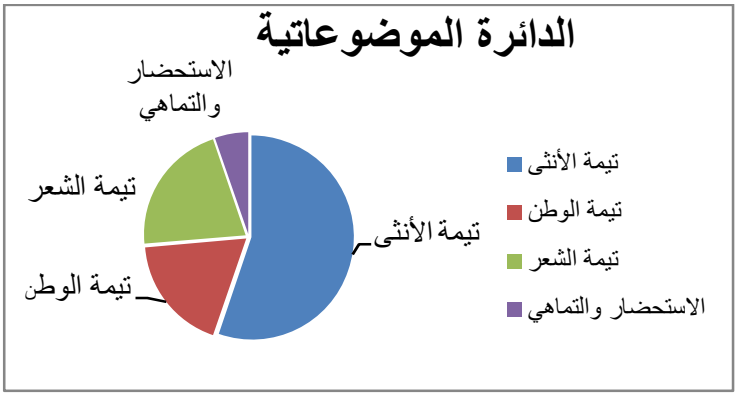

فالشاعر إذن انطلق في رؤيته الشعرية من عالم الوجدان وحاول أن يؤسس لهذا العالم انطلاقا من تأكيده على قيم: المحبة، النضال، الوفاء، الصدق، العدل، البحث عن الحقيقة، العفة والطهارة...كما أكد على اهتمامه بالمكونات الوجودية التي تشكل وجدانه: الأنثى، الوطن، الشعر، واستحضر شخصيات دينية وفكرية وأدبية ترسخ تلك المبادئ في وجدانه، منطلقا منها في تشكيل العالم، الذي يجب أن يقدس القيم الإنسانية النبيلة التي من شأنها أن تحارب الواقع المادي والقيم الاجتماعية السلبية، وتقضي على الظلم والاستبداد والحروب وكل ما

تنتجه القيم المادية التي شوهت العالم ورسخت مبادئ بعيدة عن روح الإنسانية فيه، فالشاعر إذن يسعى إلى نقل تجربته الوجدانية المبنية على قيم الإنسانية إلى العالم أجمع كي تكون دستورا إنسانيا ينير العالم.

خاتمة:

- ينطلق الشاعر أحمد بوفحته في تشكيل وجوده من ذاته الشاعرة، والتي تمثل عنده مركز الوجود الذي يحاول الشاعر من خلاله تكريس قيمه الوجدانية والإنسانية معتمدا على اللغة كأداة، والخيال كفضاء، والموضوع كرؤيا.

- شغلت الأنثى –موضوعاتيا- حيزا كبيرا من اهتمام الشاعر، فهي تعبر عن مكون جمالي يؤثث وجود الشاعر ويعمق إيمانه بالقيم الجمالية والإنسانية، وتراوحت تيمة الأنثى في الديوان بين ثنائية الحضور/ الغياب وتفاعل هذه الجدلية تفاعلا جدليا، فالأنثى التي تغيب واقعا تحضر شعرا وتشكل مكونا وجوديا بارزا في ذات الشاعر وكينونته.

- يتجلى شعور الاغتراب في قصائد الديوان ويشكل "بؤرة موضوعاتية" تجسد صراع الشاعر مع واقعه/ ، والذي تغيب فيه القيم الإنسانية والجمالية التي يؤمن بها، ليعمق هذا الغياب غربة الشاعر الروحية، كما يكرس وجودها في كينونة الشاعر ووجوده.

- شكلت تيمة الشعر أبرز الموضوعات التي شغلت الشاعر، لتشكل مكونا بارزا من وجوده من خلال بحثه في سؤال ماهية الشعر ومحاولة تحديد جوهره وحقيقته، ومطارته للمعنى وكيفية قبضه على اللحظة الشعرية التي تمثل لحظة من لحظات تشكيل الوجود.

- استحضر الشاعر عدة شخصيات دينية وأدبية وفكرية، مثلت مرجعيات للشاعر في تشكيل وجوده، فحاول التماهي مع هذه الشخصيات وتبنيه لقيمها الإنسانية والجمالية، ليكرس وجود هذه القيم في عالمه الموازي.

- ارتكز وجود الشاعر على ثلاثة مكونات هيمنت موضوعاتيا في ديوانه هي: الأنثى/ الوطن/ الشعر وهذا الثالوث هو الذي يؤجج ذات الشاعر ويلهمها، ليمثل وقودا شعريا يحفز الشاعر على الإبداع ومنه تشكيل الرؤيا.

الهوامش:

[1] عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان ط1، 1970، ص23

[2] كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغير، (أطروحة دكتوراه) قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2012/2011، ص 99

[3] بسام قطوس، درويش على تخوم الفلسفة، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2019، ص35

[4]نفسه
[5]نفسه
[6]أدونيس، زمن الشعر، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط5، 1986ص 09
[7]أدونيس ، الثابت والمتحول، دار الساقي، بيروت لبنان، دط، دت، ج4، 151
[8] أدونيس، زمن الشعر، ص11
[9]ينظر بسام قطوس، ص 19
* أحمد بوفحتة: شاعر جزائري من ولاية جيجل، من مواليد أكتوبر 1993، باحث في طور الدكتوراه بجامعة الوادي تخصص نقد ودراسات أدبية وأستاذ مؤقت بجامعة جيجل، حاز على عديد الجوائز الوطنية والدولية على غرار جائزة علي معاشي للمبدعين الشباب، وجائز الكثيب الذهبي للإبداع الأدبي
[10]نانسي هيوستن، أساتذة اليأس، النزعة العدمية في الأدب الأوربي، ت: وليد السويركي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، الإمارات، ط1، 2012، ص19
[11]عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت لبنان، 1983، ص34
[12]يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، ط1،2017، ص 170
[13]نفسه، ص162
[14]أدونيس، زمن الشعر، مرجع سابق، ص10
[15]أحمد بوفحته، غربة العائدين من المجاز، موفم للنشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2019، ص14
[16]أسماء خوالدية، المحبة عند الصوفية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة الجزائر، ط1،2016، ص233
[17]المصدر نفسه، ص108
[18]المصدر نفسه، ص60
[19]المصدر نفسه، ص84
[20]المصدر نفسه ص62
[21]المصدر نفسه، ص77
[22]المصدر نفسه، ص66
[23]المصدر نفسه، ص30
[24]المصدر نفسه ص31
[25] المصدر نفسه، ص 92
[26]المصدر نفسه، ص41-42
[27]لؤي صافي، الإنسان وجدلية الوجود والوجدان، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1،2016، ص56
[28]المصدر نفسه،ص 80-81
[29]المصدر نفسه، ص54
[30]المصدر نفسه، ص76
[31]المصدر نفسه ص87
[32]خزعل الماجدي، العقل الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق، ط1، 2004، ص16

[33] درويش على تخوم الفلسفة، مرجع سابق، دار ص35
[34] خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص73
[35] أحمد بوفحته، مصدر سابق، ص34
[36] المصدر نفسه، ص 100
[37] المصدر نفسه، ص09-10

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. أحمد بوفحته، غربة العائدين من المجاز،موفم للنشر، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2019.

قائمة المراجع:

2. عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1970.
3. كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغير، (أطروحة دكتوراه) قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2012/2011.
4. بسام قطوس، درويش على تخوم الفلسفة،فضاءات للنشر والتوزيع،عمان الأردن، ط1، 2019.
5. أدونيس، زمن الشعر، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط5، 1986.
6. أدونيس، الثابت والمتحول، دار الساقي، بيروت لبنان، دط، دت،ج4.
7. نانسي هيوستن، أساتذة اليأس، النزعة العدمية في الأدب الأوربي ،ت: وليد السويركي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات،ط1، 2012.
8. عبد الكريم حسن،الموضوعية البنيوية ،دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات ،بيروت لبنان، 1983.
9. يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري ،دار جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، ط1، 2017.
10. أسماء خوالدية،المحبة عند الصوفية، منشورات الاختلاف،الجزائر العاصمة الجزائر، ط1، 2016.
11. لؤي صافي، الإنسان وجدلية الوجود والوجدان، دارالفكر المعاصر،بيروت لبنان،ط1،2016.
12. خزعل الماجدي، العقل الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق ،ط1، 2004.